﴿ ذكرى للعابدين ﴾



مع غربة النفس ... الألم ... الحزن

هناك نور في نفوس المؤمنين الصابرين

يسليهم ويؤنس وحشتهم ويبشرهم بأن فرج الله قريب

كتبه:

فواز بن لوفان الظفيري

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، ناصر عباده الموحدين القائمين والعاملين بسنة الرسول الأمين محمد بن عبد الله، السائرين على نهج صحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأصلي وأسلم على أسوتنا وحبيبنا وقرة أعيننا نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فمع غربة الزمان لأهل الحق والهدى، وانتشار الملهيات عن طاعة الله تعالى، وانتشار أهل البدع والفساد الصادين عن دين الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، إلا أنه هناك ضوء ساطع بين هذه الظلمات، يشع نوره في نفوس المؤمنين الصابرين، يذكرهم بوعد الله تعالى لهم ويحثهم على الصبر والجهاد في سبيل الله تعالى لإعلاء كلمة الله تعالى بالسنان والبنان، وإن لجهاد النفس والصبر عليها أعظم الجهاد، والابتلاء أصاب من قبلنا من الأمم، ولنا فيهم معتبر وذكرى، قال تعالى : ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:

"يخبر تبارك وتعالى أنه لابدَّ أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة كما فعل بمن قبلهم، فهي سنته الجارية، التي لا تتغير ولا تتبدل، أن من قام بدينه وشرعه، لا بد أن يبتليه، فإن صبر على أمر الله، ولم يبال بالمكاره الواقفة في سبيله، فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة آلتها. ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدته المكاره عما هو بصدده، وثنته المحن عن مقصده، فهو الكاذب في دعوى الإيمان، فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتمني، ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه.

فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر الله عنهم ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ﴾ **أي: الفقر،** ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ **أي: الأمراض في أبدانهم،** ﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾ **بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي، وأخذ الأموال، وقتل الأحبة، وأنواع المضار حتى وصلت بهم الحال، وآل بهم الزلزال، إلى أن استبطأوا نصر الله مع يقينهم به، ولكن لشدة الأمر وضيقه قال** ﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾**، فلما كان الفرج عند الشدة، وكلما ضاق الأمر اتسع، قال تعالى:** ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾**. فهكذا كل من قام بالحق فإنه يمتحن، فكلما اشتدت عليه وصعبت، إذا صابر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة، والمشقات راحات، وأعقبه ذلك، الانتصار على الأعداء وشفاء ما في قلبه من الداء، وهذه الآية نظير قوله تعالى:** ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾**، وقوله تعالى:** ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ **، فعند الامتحان، يكرم المرء أو يهان". انتهى كلامه رحمه الله تعالى.**

وهذه الدنيا دار ابتلاء واختبار قال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢]، **وللابتلاء فوائد وعبودية وحكم عظيمة جليلة، قال ابن القيم رحمه الله:**

"فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه: أهَّله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه"[1].

وكتبت هذه الكلمات تذكيراً لنفسي ولإخواني، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها وأن يغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وأن يثقل موازيني إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين.

---

١ – زاد المعاد (٤/١٩٥).

﴿المرض والآلام المصاحبة له﴾

والمتأمل لحال كثير من الناس يجد اختلافاً وتنوعاً في مصابهم وابتلاءاتهم، اختلافاً في آلامهم وأحزانهم.

منهم من يحزن لمرض أصابه وأقض مضجعه، يئنُّ من الألم، قد يكون طريح الفراش لا أنيس ولا قريب يشاركه همومه وآلامه، قد يكون في سرير المستشفى بين الأجهزة والإبر المغذية يفكر في حاله ومآله.

وأقول له:

إن لك أسوة فيمن خلا من الزمان ممن هم صفوة الخلق أجمعين، الأنبياء والمرسلين.

ألا تتأمل أخي المبتلى نبيَّ الله تعالى أيوب عليه الصلاة والسلام، أصابه المرض، وعافه الجليس والأنيس، هجره الناس، بقي في فراشه ليس له في الدنيا إلا زوجته تخفف عليه ما أصابه، من هو؟! نبيٌّ من أنبياء الله تعالى.

صَبَرَ واحتسب، صبر على المرض وآلامه وأوجاعه، صبر على وحدته، لا أنيس ولا جليس سوى زوجته المؤمنة الصابرة، زكاه الله تعالى في قرآن يتلى إلى يوم القيامة تسلية للمؤمنين الصابرين وذكرى للمحزونين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤].

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله:

"الله عز وجل يبتلي عباده بالسراء والضراء وبالشدة والرخاء، وقد يبتليهم بها لرفع درجاتهم وإعلاء ذكرهم ومضاعفة حسناتهم كما يفعل بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والصلحاء من عباد الله، كما قال النبي ﷺ: (أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل) –رواه الترمذي–، فإذا ابتلي أحد من عباد الله الصالحين بشيء من الأمراض أو نحوها؛ فإن هذا يكون من جنس ابتلاء الأنبياء والرسل، رفعاً في الدرجات، وتعظيماً للأجور، وليكون قدوة لغيره في الصبر والاحتساب"[١].

والله تعالى له الحكمة البالغة والأمر النافذ لا رادَّ لقضاءه سبحانه وتعالى، والله تعالى شفى أيوب عليه الصلاة والسلام من المرض وفقد الولد والمال، فعوضه خيراً عظيماً، صحةً ومالاً وولداً وجاهاً، وهو الكريم الرزاق الحكيم سبحانه وتعالى لا معبود بحق سواه.

قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

١ – مجموع فتاوى ابن باز (٤/٣٧٠).

قال السعدي رحمه الله تعالى:

"﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ أي: جعلناه عبرة للعابدين، الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد زواله، ونظروا السبب، وجدوه الصبر، ولهذا أثنى الله عليه به في قوله: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾، فجعلوه أسوة وقدوة عندما يصيبهم الضر".

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير القرآن العظيم:

"وقوله: ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ أي : فعلنا به ذلك رحمة من الله به، ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ أي : وجعلناه في ذلك قدوة، لئلا يظن أهل البلاء أنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا، وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك"[١].

والنبي ﷺ مرض وكان يصيبه الألم ويتضاعف عليه ﷺ.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك، فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكاً شديداً. فقال النبي ﷺ: (أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم). قال: فقلت: ذلك لأن لك أجرين؟ فقال: (أجل). ثم قال: (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلا حط الله تعالى به سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها)، متفق عليه.

قال القاري في مرقاة المفاتيح: "(ما من مسلم يصبه أذى) أي: ما يؤذيه ويتعبه (من مرض فما سواه) أي: فما دونه أو غيره مما تتأذى به النفس (إلا حط الله تعالى به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها)، قال الطيبي: شبه حال المريض وإصابة المرض جسده، ثم محو السيئات عنه سريعاً؛ بحالة الشجرة وهبوب الرياح الخريفية، وتناثر الأوراق منها، فهو تشبيه تمثيلي، ووجه الشبه الإزالة الكلية على سبيل السرعة. قال ابن الملك: وفيه إشارة عظيمة؛ لأن كل مسلم لا يخلو عن كونه متأذياً (متفق عليه) قال ميرك: ورواه النسائي"[٢].

والمصائب قد تكون بسبب الذنوب والمعاصي، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

قال السعدي رحمه الله تعالى: "يخبر تعالى، أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزاً عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله

---

١ – تفسير القرآن العظيم (٣٦٣/٥).

٢ – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١١٢٩/٣).

عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]**، وليس إهمالاً منه تعالى تأخير العقوبات ولا عجزاً".**

واعلم يا أخي المبتلى أن الصبر عاقبته حميدة، وفضائله عظيمة، لا يعطيه الله تعالى إلا لعبد كريم عنده، فأنعم بها من خصلة، وكفى بها فضيلة، أن تكون كريماً أيها الصابر عن الله تعالى.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: "الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده)[1].

والله تعالى كتب لك خيراً وأراد لك خيراً يا أخي المريض، فعن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: (مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ)، رواه البخاري.

وعن إبراهيم بن مهدي السلمي عن أبيه عن جده قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده، ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى)، رواه أبوداود وصححه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترغيب والترهيب.

ولما عاد النبي ﷺ مريضاً يشكو من الحمى –أي ارتفاع شديد في درجة حرارة الجسم– ومعه أبو هريرة من وعك كان به فقال له النبي ﷺ: (أبشر فإن الله عز وجل يقول: ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة). قال المحدث شعيب الارناؤوط رحمه الله تعالى: "إسناده جيد، أبو صالح الأشعري لا يعرف اسمه، روى عنه جمع، وقال أبو حاتم: لا بأس به، ووثقه الذهبي، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين".

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده، قال الله عز وجل للملك: أكتب له صالح عمله الذي كان يعمله، فإن شفاه غسله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه)، رواه الإمام أحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

قال ابن القيم رحمه الله: "انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمر لا يحس به إلا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها"[2].

---

١ – عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين صـ (٩٥).

٢ – شفاء العليل صـ (٢٥٠)

وتأمل يا أخي في هذا الحديث العظيم:

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلاَءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ). رواه الترمذي وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في السلسلة الصحيحة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها). رواه أبو يعلى وابن حبان وقال الألباني: حسن صحيح، صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٠٨).

والدنيا لاشك أنها زائلة ومنقضية مهما تنعم فيها الانسان ستزول، والآخرة خير وأبقى، وفيها جنة الرحمن دار القرار والبقاء السرمدي الأبدي، نسأل الله الغني الكريم الرؤوف الرحيم أن يجعلنا من أهلها وإخواننا المسلمين، الجنة هي النعيم المقيم.

عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ). رواه مسلم.

وهذا عطاء بن رباح فيه إعاقات وأمراض، وكان يفتي الناس في الحج، وجاء في ترجمته[١]: أنه – رحمه الله– كان أعور، أشل، أفطس، أعرج، أسود، وقطعت يده مع ابن الزبير، وأصابه العمى بعد ذلك.

والمرأة التي أتت النبي ﷺ فقالت إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك)، فقالت: أصبر و لكن ادع لي الله ألا أتكشف فدعا لها). رواه البخاري.

وروي أيضاً أن الطاعون أصاب معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل ابن حسنة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد. أخرجه أحمد.

وعن زيد ابن الأرقم أنه قال: رمدت عيناي، فعادني النبي ﷺ فقال: (يا زيد أرأيت لو أن عينك ذهب نورها كيف كنت تصنع؟)، قلت: أصبر يا رسول الله، فقال لي النبي ﷺ: (لو صبرت واحتسبت كان ثوابك الجنة). أخرجه البيهقي.

١ – في سير أعلام النبلاء (٥/٨٠).

قال ابن أبي الدنيا: "ومن تسلية أهل المصائب: أن ينظر المصاب ويفرق بين أعظم اللذتين والتمتعين: تمتع الحياة الدنيا الفانية، وتمتع الدار الآخرة الباقية، وأدومهما لذة وتمتعاً بما أصيب به، ولذة تمتعه بثواب الله له على قوله وفعله من استرجاع وصبر ونحوه، فإن ظهر له الرجحان، فآثر الراجح، فليحمد الله على توفيقه له، وإن آثر المرجوح من كل وجه، فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه، أعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه.وأي نسبة بين تمتعه بمحبوبه في هذه الدار التي قال الله تعالى في حقها من أولها إلى آخرها: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾، وأي شيء حصل له من القليل؟ فمن آثر جزءاً قليلاً من قليل ينفد، على جزء كثير من كثير لا ينفد، فقد اغتيل عقله. قال بعض الحكماء: يحسب الجاهل الشيء الذي هو لا شيء شيئاً، والشيء الذي هو الشيء لا شيء، ومن لا يترك الشيء الذي هو لا شيء، لا ينال الشيء الذي هو الشيء، ومن لا يعرف الشيء الذي هو الشيء، لا يترك الشيء الذي هو لا شيء، يريد الدنيا والآخرة"[1].

وقال في موضع آخر: "ومما يسلي المصاب: أن يوطن نفسه على أن كل مصيبة تأتيه هي من عند الله وأنها بقضائه وقدره، وأنه سبحانه وتعالى لم يقدرها عليه ليهلكه بها، ولا ليعذبه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه، وشكواه إليه وابتهاله ودعاءه، فإن وفق لذلك كان أمر الله قدراً مقدوراً، وإن حرم ذلك كان ذلك خسراناً مبيناً.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: "علاج المصائب بسبعة أشياء:

الأول: أن يعلم بأن الدنيا دار ابتلاء، والكرب لا يرجى منه راحة.

قال الشاعر:

وما استغربت عيني فراقاً رأيته ... ولا علمتني غير ما القلب عالمه

الثاني: أن يعلم أن المصيبة ثابتة.

الثالث: أن يقدر وجود ما هو أكثر من تلك المصيبة.

الرابع: النظر في حال من ابتلي بمثل هذا البلاء، فإن التأسي راحة عظيمة.

قالت الخنساء:

ولولا كثـــرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتأسي

١ – تسلية أهل المصائب صـ (٢٠).

وهذا المعنى قد حرمه الله عز وجل أهل النار، فإن المخلدين فيها كل واحد محبوس وحده، فهو يظن أنه لم يبق في النار سواه.

الخامس: النظر في حال من ابتلي أكثر من هذا البلاء فيهون عليه هذا.

السادس: رجاء الخلف، إن كان من مضى يصح عنه الخلف كالولد والزوجة.

قيل للقمان عليه السلام: ماتت زوجتك؟ قال: تجدد فراشي.

قال الشاعر:

هل وصل عزة إلا وصل غانية   في وصل غانية من وصلها خلف

السابع: طلب الأجر بالصبر في فضائله وثواب الصابرين وسرورهم في صبرهم، فإن ترقى إلى مقام الرضى فهو الغاية. انتهى كلامه، وقد تقدم معنى ذلك.

ومما يلحق بعلاج هذه السبعة أشياء وأمور أخر:

الثامن: أن يعلم العبد كيف جرى القضاء فهو خير له.

التاسع: أن تعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار.

العاشر: أن يعلم أنه مملوك وليس للمملوك في نفسه شيء.

الحادي عشر: أن هذا الواقع وقع برضى المالك، فيجب على العبد أن يرضى بما رضي به السيد.

الثاني عشر: معاتبة النفس عند الجزع مما لابد منه، فما وجه الجزع مما لابد منه؟!

الثالث عشر: إنما هي ساعة فكأن لم تكن.

وهذه المعاني وقد تقدم ما يشبهها ويناسبها، ويأتي ما هو أتم من ذلك، وبالله التوفيق"[١].

كان شُريح يقول: إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني[٢].

قال سلام بن أبي مطيع: دخلت على مريض أعوده، فإذا هو يئن. فقلت له: اذكر المطروحين على الطريق، اذكر الذين لا مأوى لهم ولا لهم من يخدمهم، قال: ثم دخلت عليه بعد ذلك، فسمعته يقول لنفسه: اذكري المطروحين في الطريق، اذكري من لا مأوى له ولا له من يخدمه[١].

---

١ – تسلية أهل المصائب صـ (٢١).

٢ – سير أعلام النبلاء (٥٢/٥).

الله أكبر! يا صاحب البلاء اعتبر بمن سبقك من الصالحين تسكن نفسك وينجلي حزنك وتفرح بقضاء الله تعالى لك.

كان الشيخ عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء رحمه الله تعالى أصيب بمرض السرطان وهو كبير في السن، في الواحد والسبعين من عمره رحمه الله تعالى، وأرسل إلى أمريكا للعلاج، فدخل طبيب أمريكي على الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله عندما كان يتعالج من مرض السرطان، وشاهد صبره واحتسابه، حتى قال: إني لم أرَ في حياتي مثل هذا الرجل، إذا دخلت عليه كأنه لا يشكو من أي مرض، مع أني أعرف نوع المرض، ومدى تأثيره النفسي والعضوي على صاحبه[٢].

لذلك لا تحزن أيها المريض، لا تحزن أيها المتألم من وقوع المرض عليك، لا تحزن من هجران الأقرباء والأصحاب لك في حال مرضك، قد يتعاهدونك وقتاً ويملونك وقتاً، لا تحزن. فإن الله تعالى كتب لك الأجر والثواب وجنة عرضها الأرض والسموات، وهذه كفارة ورفعة في الدرجات، فابتسم رغم المرض، رغم الألم، رغم الوحدة، فإن الله تعالى معك، ومن كان الله معه فماذا فقد.

---

١ – عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين صـ (١٣٦).

٢ – الفتاوى والدروس في المسجد الحرام صـ (٥٠).

﴿الحزن على فقد قريب﴾

ومن الناس من يحزن ويتألم لفقدان حبيب أحبه وملأ قلبه احتراماً واعتزازاً وتقديراً، ربما اباه وأمه أو أحد إخوته أو أصحابه، أو كان بينهما مودة ورحمة كزوج أو زوجة، ربما فلذة كبده، كان يتأمل فيه الخير العميم والفضل الكريم والرحمة والشفقة في أرذل العمر، بعيداً عن منة الآخرين وذل السؤال الذي أقض مضجع الكرماء وأصحاب الحياء الجميل.

في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (يقول الله عزوجل: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة).

أقول لكم: إن لكم أسوة حسنة في رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

النبي ﷺ بكى على موت ابنه إبراهيم، وقال: (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ). رواه البخاري، ومسلم.

يامن فقدت حبيب أو قريب، لا أحد يلومك على حزنك ودموعك، لكن لتجعل الحزن بدون تسخط بل رضا بقضاء الله وقدره، وادع للميت بالرحمة والمغفرة.

واعلم يا عبدالله أن الصبر عند الصدمة الأولى كما أخبر بذلك حبيبنا وقرة أعيننا محمد بن عبد الله ﷺ، فعن أنس قال: مر النبي بامرأة تبكي عند قبر، فقال: (اتقي الله واصبري)، قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه. فقيل لها إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك. فقال: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى). متفق عليه.

واعلم أن البكاء رحمة من الله تعالى يجعلها في عباده، فسبحان الخالق البارئ، سبحان الله البر الرحيم الرؤوف، هو أرحم بنا من أنفسنا ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وفي تفسير السعدي رحمه الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ أي: أمره تعالى نافذ، لا يبطله مبطل، ولا يغلبه مغالب، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فلذلك يجري منهم ويصدر ما يصدر، في مغالبة أحكام الله القدرية، وهم أعجز وأضعف من ذلك. انتهى كلامه رحمه الله.

والنبي عليه الصلاة والسلام لما مات أحد أحفاده وهو في حجره ﷺ، بكى ودمعت عيناه، فقال له سعد بن عبادة ﷺ -وقد ظن أن أي بكاء على الميت ممنوع-: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ). رواه البخاري، ومسلم.

قال الشاعر:

يا صاحب الكرب إن الكرب منفرج   أبشـــر بخيـــرٍ فإن الفـــارج الله

اليأس يقطـــع أحيانـــاً بصاحبــه — لا تيأســـــن فإن الكـــافي الله

الله يحدث بعـــد الكـــرب ميســـرة — لا تجزعن فإن الكاشـــــف الله

إذا بليـــــت فثق بالله وارضَ بـــــه — إن الذي يكشف البلوى هو الله

والله مالك غيـــر الله من أحـــــدٍ — فحسبـــــك الله في كلٍ لك الله

وتذكر يا أخي أنك لا تملك لنفسك الضعيفة شيئاً، والدنيا تذكرة وعبرة، فهل تأملت أحداثها وتصاريفها واعتبرت بما يحدث لك ولغيرك؟ فإنها واعظ ومزدجر لمن تأمل واعتبر.

مات عبدالله بن مطرف، فخرج مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد ادهن، فغضبوا وقالوا: يموت عبدالله ثم تخرج في ثياب مثل هذه مدهناً؟!، قال: "فأستكين لها وقد وعدني ربي تبارك عليها ثلاث خصال كل خصلة منها أحب إلي من الدنيا كلها؟ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٦ – ١٥٧]، فأستكين لها بعد هذا؟"[١].

رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فاقة وضرورة، فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟! ثم أنشد:

وإذا أَتَتْكَ مصيبـــة فاصبر لها — صبـــر الكريم فإنه بـــك أَرحم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما — تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحم[٢]

ومن القصص التي تذكر للصالحين في صبرهم واحتسابهم لله تعالى:

١– أم سليم الأنصارية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضاها وصبرها ورضاها عند فقدها لفذة كبدها ابنها.

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ماتَ ابنٌ لأبي طلحة من أم سُليم، فقالت لأهلها: لا تُحدِّثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أُحدِّثه، قال: فجاء فقربتْ إليه عشاءً، فأكل وشرب، فقال: ثُمَّ تصنَّعَتْ له أحسن ما كان تصنَّعُ قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأتْ أنه قد شبعَ وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعارُوا عاريتَهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، أَلَهُم أنْ يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسِب ابنك، قال: فغضب! وقال: تركتِني حتى تلطَّختُ، ثم أخبرتني بابني، فانطلَقَ حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: (بارك الله لكما في غابر ليلتِكما)، قال: فَحَمَلَتْ، قال: فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يَطرقها طروقًا، فدنوا من المدينة فضرَبَها

١ – صفة الصفوة (١٣٢/٢).

٢ – مدارج السالكين (١٦٠/٢).

المخاض؛ فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يا ربِّ أنه يُعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى، قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة، ما أَجِدُ الذي كنتُ أجد، انطلقْ فانطلقْنا، قال: وضربها المخاض حين قَدِما فولدت غلاماً، فقالت لي أمي: يا أنس، لا يُرضعه أحدٌ حتى تَغدو به على رسول الله ﷺ، فلما أصبح احتملتُه فانطلقتُ به إلى رسول الله ﷺ، قال: فصادفتُه ومعه مِيسَم، فلمَّا رآني قال: (لعلَّ أم سليم ولدَت؟)، قلت: نعم، فوضع المِيسَم، قال: وجئتُ به فوضعته في حجره، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكَها في فيه، حتى ذابتْ ثمَّ قذَفها في فِيِّ الصبيِّ، فجعل الصبيُّ يتلمَّظُها، قال: فقال رسول الله ﷺ: (انظروا إلى حُبِّ الأنصار التمر)، قال: فمسَح وجهه وسماه عبدالله. رواه البخاري.

وفي رواية البخاري: قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيتُ لهما تسعةَ أولاد كلهم قد قرأ القرآن.

الله أكبر ما أعظم الصبر في نفوس المؤمنين الصابرين المحتسبين، والله تعالى كريم رحيم بعباده سبحانه هو الغفور الرحيم.

٢- قصة الشيخ الطاعن في السن في مجلس الخليفة.

كان الخليفة الوليد يجلس في مجلسه، فدخل عليه شيخ طاعن في السن، مهشم الوجه، أعمى البصر، فسأله عن قصته، فقال الشيخ: إني بتُّ ذات ليلةٍ في وادٍ، وليس في ذلك الوادي أغنى مني، ولا أكثر مني مالًا وحلالًا وعيالًا، فأتانا السيل بالليل، فأخذ عيالي ومالي وحلالي، وطلعت الشمس وأنا لا أملك إلا طفلًا صغيرًا وبعيرًا واحدًا، فهرب البعير، فأردت اللحاق به، فلم أبتعد كثيرًا حتى سمعت خلفي صراخ الطفل، فالتفت فإذا برأس الطفل في فم الذئب، فانطلقت لإنقاذه فلم أقدر على ذلك؛ فقد مزقه الذئب بأنيابه، فعدت لألحق بالبعير، فضربني بخفه على وجهي، فهشم وجهي وأعمى بصري، فأصبحت لا مال لي، ولا أهل، ولا ولد، ولا بصر، قال: وما تقول يا شيخ بعد هذا؟ فقال الشيخ: أقول: الحمد لله الذي ترك لي قلباً عامراً، ولساناً ذاكراً. فقال الوليد لما سمع قصته: انطلقوا به إلى عروة؛ ليعلم أن في الناس من هو أعظم منه بلاءً.[١]

ومن أصيب بمصيبة عليه أن يتذكر هذا الدعاء العظيم:

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها، إلا آجره الله تعالى في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها)، قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله ﷺ. صحيح مسلم.

---

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد (/)، تاريخ مدسنة دمشق لابن عساكر (/).

وعن أبي بردة بن أبي موسى ﷺ قال: وجع أبو موسى وجعًا شديدًا، فغشي عليه ورأسه في حجر امرأةٍ من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا، فلما أفاق قال: أنا بريء ممن برئ منه رسول الله ﷺ؛ إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة -التي ترفع صوتها بالنياحة والندب- والحالقة -التي تحلق رأسها عند المصيبة- والشاقة -التي تشق ثوبها-. صحيح مسلم.

عن عبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَيْسَ مِنّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعا بِدَعْوى الْجاهِلِيَّةِ). رواه البخاري ومسلم.

قال ابن القيم رحمه الله:

"وكان من هديه ﷺ السكون والرضا بقضاء الله، والحمد لله والاسترجاع، ويبرأ ممن خرق لأجل المصيبة ثيابه، أو رفع صوته بالندب والنياحة أو حلق لها شعره"[١].

سئل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: ما حكم البكاء على الميت بعد موته دون شق الجيوب أو التلفظ بالمحرمات، ولكن بكاء الحزن والخشوع، هل يعذب هذا الميت بهذا البكاء في قبره ؟

فأجاب بقوله: البكاء الممنوع هو النياحة ورفع الصوت، وشق الثوب، ولطم الخد، هذا هو الممنوع، يقول النبي ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود، أو شق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية»، ويقول ﷺ: «أنا بريء من الصالقة والحالقة والشاقة»، الصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة، والشاقة: التي تشق ثوبها عند المصيبة، والحالقة: التي تحلق شعرها عند المصيبة أو تنتفه. هذا هو الممنوع، أما دمع العين والبكاء بدمع العين فهذا ليس فيه بأس، يقول ﷺ في الحديث الصحيح لما مات ابنه إبراهيم: «العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزنون»، ويقول ﷺ: «إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، وإنما يعذب بهذا أو يرحم»، وأشار إلى لسانه عليه الصلاة والسلام. فالمحرم هو رفع الصوت باللسان وهو النياحة، أما البكاء العادي من دون رفع الصوت فلا بأس به.[٢]

وسئل فضيلته رحمه الله تعالى أيضاً هل يتضرر الميت بالبكاء عليه؟

فأجاب بقوله: لا يتضرر إلا بالنياح، أما البكاء العادي فلا يضر، أما بالنياح برفع الصوت فهذا يتضرر؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الميت يعذب في قبره بما نيح عليه» والنياحة رفع الصوت، فلا يجوز لأهل الميت أن ينوحوا عليه؛ ولأن هذا حرام عليهم، ويضره أيضا، فالواجب الحذر والابتعاد من ذلك، أما البكاء بدمع العين وحزن القلب فلا يضر؛ لأن النبي ﷺ لما مات ابنه إبراهيم قال عليه الصلاة والسلام: «العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا لفراقك يا

---

١ - زاد المعاد (١/٥٢٧).

٢ - فتاوى نور على الدرب (١٤/٣٩٧).

إبراهيم لمحزنون»، وقال لأصحابه: «ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا أو يرحم» وأشار إلى لسانه؛ أي بالصوت.[١]

وقال رحمه الله في مجموع الفتاوى[٢]: "الواجب على المسلمين في هذه الأمور الصبر والاحتساب، وعدم النياحة، وعدم شق الثوب، ولطم الخد، ونحو ذلك لقول الرسول ﷺ: (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)، ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)، وقال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب) رواه مسلم في الصحيح. والنياحة هي رفع الصوت بالبكاء على الميت. وقال ﷺ: (أنا بريء من الصالقة والحالقة والشاقة)، والحالقة: هي التي تحلق شعرها عند المصيبة، أو تنتفه. والشاقة: هي التي تشق ثوبها عند المصيبة. والصالقة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة. وكل هذا من الجزع، فلا يجوز للمرأة ولا للرجل فعل شيء من ذلك...".

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله كما في فتاوى المرأة[٣] عن حكم لبس السواد للمرأة:

"لبس السواد عند المصائب إشعار باطل لا أصل له، والإنسان عند المصيبة ينبغي له أن يفعل ما جاء به الشرع، فيقول: إن لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، فإذا قال ذلك بإيمان واحتساب، فإن الله سبحانه وتعالى يأجره على ذلك، ويبدله بخير منها، أما ارتداء السواد وما شابهه فهو لا أصل له. وهو أمر باطل ومذموم".

فهذه الأفعال محرمة ولا تجوز، وتنافي الصبر وحصول الأجر والثواب، وفيها الوزر وغضب الجبار جل جلاله.

---

١ - فتاوى نور على الدرب (١٤/٤٠٦).

٢ - (١٣/٤١٤).

٣ - صـ (٦٥)

الألم والغربة في هذا الزمان

إن الغربة في الدين غربة محمودة، أثنى على أهلها نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام: عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء). رواه مسلم.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الحديث العظيم:

"هو حديث صحيح ثابت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، زاد جماعة من أئمة الحديث في رواية أخرى: قيل: يا رسول الله، من الغرباء؟ قال: (الذي يصلحون إذا فسد الناس)، وفي لفظ آخر: (الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي)، وفي لفظ آخر: (هم النزاع من القبائل)، وفي لفظ آخر: (هم أناس صالحون قليل في أناس سوء كثير). فالمقصود أن الغرباء: هم أهل الاستقامة، وأن الجنة والسعادة للغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس، إذا تغيرت الأحوال والتبست الأمور وقلَّ أهل الخير ثبتوا هم على الحق واستقاموا على دين الله، ووحدوا الله وأخلصوا له العبادة واستقاموا على الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر أمور الدين، هؤلاء هم الغرباء، وهم الذين قال الله فيهم وفي أشباههم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢]، **ما تدعون: أي ما تطلبون"[١].**

قال ابن القيم رحمه الله: "أهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يُميزوها من الأهواء والبدع هم غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربةً ولكن هؤلاء هم أهل الله حقاً، فلا غربة عليهم وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، **فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله وغربتهم هي الغربة الموحشة"[٢].**

فبعض الناس يشعر بالألم والحزن وأخذ به مبلغاً حينما يرى القريب قد عاداه وتربص به، ينصح له ويحب لهم الخير، يحذرهم من المنكرات وارتكاب المعاصي، يحذرهم من البدعة والضلالة وأهل الأهواء، يرشدهم للسنة الغراء وترك البدعة، يحب لهم الخير لأنه سائر على منهج النبوة، كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بفهم سلف الأمة، ينصح لهم فيستهزؤون به، يتلطف بهم فيغلظون عليه بالقول، يريدون تنفيره

---

١ – فتاوى نور على الدرب صـ (١٦).

٢ – مدارج السالكين (١٨٦/٣).

من صلاحه واستقامته، يريدون انحرافه عن السنة للوقوع في البدعة وأهلها، ولا ننسى عدواة أهل الشر والبدعة له وتنفير الناس منه، ووصفه ونبزه بأصناف المعايب والألقاب، حسداً وبغضاً من أنفسهم ونصرةً لمذهبهم الباطل وأهوائهم، وهو مع هذا صابر محتسب يتألم مما وقع عليه وخاصةً ممن قد أحبهم وعاش بينهم سنين، جمعته بهم الذكريات الجميلة والقرابة الحميمة.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: "وقد ذمَّ الله تعالى المشركين باتِّباع الهوى في مواضع من كتابه؛ فقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ﴾ [القصص: ٥٠]، وكذلك البِدَع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا يُسمَّى أهلُها أهلَ الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله، ومحبة ما يحبه، وكذلك حبُّ الأشخاص الواجب فيه أن يكون تَبَعًا لما جاء به الرسول ﷺ، فيجب على المؤمن محبةُ الله ومحبةُ مَن يحبه الله، من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء، والصالحين عمومًا، ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان أن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وتحريم موالاة أعداء الله ومَن يكرهه الله عموماً.[1]

لا تحزن يا أخي فلك أسوة بمن هم صفوة الخلق أجمعين الأنبياء والمرسلون وإمامهم نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله ﷺ.

فالأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام تعرضوا لأقسى من ذلك فصبروا لله تعالى وفي الله، فاصبر واحتسب والله تعالى ناصرك ومعينك.

عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلنا: ألا تدعو الله؟، فقعد وهو محمر وجهه وقال: (كان الرجل فيمن كان قبلكم يُحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بمنشار فيوضع فوق رأسه فيشق باثنين فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون). رواه البخاري.

لا تحزن إن رأيت تغيراً في أخلاق بعض من عرفت إلا الحزن على حالهم وتمني الخير لهم، فالعبرة بمن كان على الصراط المستقيم، لا تتألم حينما تصدع بالحق وتريد مرضاة الله تعالى ويأتيك أقرب الناس ويطعن في أخلاقك ويتهمك في دينك، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فقد صح في مسند أحمد أنه ﷺ كان يقبل على القبيلة منهم فيقول لهم: (يا غطفان هل لكم في عز الدهر؟ قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا هذه رسالة ربي فمن يؤويني لأبلغ رسالة ربي)، فما يكاد ينتهي

---

١ – جامع العلوم والحكم (١/٣٩٠).

من كلامه حتى يقبل عليهم أبو جهل مسرعاً فيصيح بهم: لا تصدقوه، هذا ساحر، هذا كاهن، هذا مجنون، أنا عمه وأدرى الناس به. فيتركهم النبي ﷺ ويمضي حزيناً مهموماً حتى يختفي عن أبي جهل، ثم يقف عند آخرين فيقول: (يا بني سلمة قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)، فإذا بأبي جهل يقبل عليهم ويقول لهم: هذا مجنون.

والأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام كم عانوا من أقوامهم أشد المعاناة فدعوهم لدين الله تعالى دعوهم لتوحيد الله تعالى ونبذ الشرك. قال تعالى مخبراً عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ [نوح: ٥ – ٧]، **واستمر في دعوة قومه رغم كل هذا البلاء والصدود منهم.**

وهذا نبي الله تعالى شعيب عليه الصلاة والسلام لما دعا قومه لتوحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وترك المنكرات قابلوه بالرفض والعدوان هو ومن معه من المؤمنين، لماذا؟ لأنهم لا يريدون طريق الحق والصراط المستقيم، يريدون الشهوات والمنكرات والملذات فعاقبهم الله تعالى لكفرهم وعنادهم واستكبارهم، ونجى الله تعالى شعيبا عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين، فعاقبت الايمان والصبر على الأذى في الله تعالى وتبليغ دينه حميدة وعزيزة وكريمة، فالله تعالى ينصر عباده المؤمنين ويخزي الكافرين والمفسدين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ۝٩٠ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝٩١ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ۝٩٢﴾ [الأعراف: ٩٠ – ٩٢].

قال السعدي رحمه الله تعالى: "﴿۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ **وهم الأشراف والكبراء منهم الذين اتبعوا أهواءهم ولهوا بلذاتهم، فلما أتاهم الحق ورأوه غير موافق لأهوائهم الرديئة، ردوه واستكبروا عنه، فقالوا لنبيهم شعيب ومن معه من المؤمنين المستضعفين** ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ **استعملوا قوتهم السبعية، في مقابلة الحق، ولم يراعوا ديناً ولا ذمةً ولا حقاً، وإنما راعوا واتبعوا أهواءهم وعقولهم السفيهة التي دلتهم على هذا القول الفاسد، فقالوا: إما أن ترجع أنت ومن معك إلى ديننا أو لنخرجنكم من قريتنا. فشعيب عليه الصلاة والسلام كان يدعوهم طامعاً في إيمانهم، والآن لم يسلم من شرهم، حتى توعدوه إن لم يتابعهم بالجلاء عن وطنه، الذي هو ومن معه أحق به منهم. ف**﴿قَالَ﴾ **لهم شعيب عليه الصلاة والسلام متعجباً من قولهم:** ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ **أي: أنتابعكم على**

دينكم وملتكم الباطلة، ولو كنا كارهين لها لعلمنا ببطلانها، فإنما يدعى إليها من له نوع رغبة فيها، أما من يعلن بالنهي عنها، والتشنيع على من اتبعها فكيف يدعى إليها؟".

وهذا إمام الحنفاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام دعا قومه للتوحيد ونبذ الشرك، وحطم الأصنام، فكادوا له وأرادوا أن يحرقوه في النار، رموه في النار لكن الله تعالى جعلها برداً وسلاماً عليه.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٦ – ٧٠].

وهذا نموذج جميل للمؤمنين الصادقين المتوكلين على رب العالمين، وهو مؤمن آل فرعون، ناصر دعوة موسى عليه الصلاة والسلام ونصح لقومه باتباع رسول الله تعالى وحذرهم من عقوبة الله تعالى كما في سورة غافر: ﴿۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٤١ – ٤٤].

توكل على الله تعالى، ومن يتوكل على الله تعالى فهو حسبه وناصره ومعينه، قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥ – ٤٦].

وهذا نبينا وقرة أعيننا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، كان يسليه ربه عندما كان يضايقه المشركون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الحجر: ٩٧ – ٩٨].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "أي: وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك انقباض وضيق صدر، فلا يهيدنك ذلك، ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة الله، وتوكل على الله فإنه كافيك وناصرك عليهم، فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة، ولهذا قال: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾"[1].

---

١ – تفسير القرآن العظيم (٤/٥٥٣).

وجاء عن العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمة الله عليه في شرح كتاب كشف الشبهات [1] في التوحيد، شارحاً لكلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: "واعلم أنه سبحانه من حكمته لمْ يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

الشرح: "نبه المؤلف رحمه الله تعالى في هذه الجملة على فائدة عظيمة، حيث بين أن من حكمة الله عز وجل أنه لم يبعث نبياً إلا جعل له أعداء من الإنس والجن، وذلك أن وجود العدو يمحص الحق ويبينه، فإنه كلما وجد المعارض قويت حجة الآخر، وهذا الذي جعله الله تعالى للأنبياء جعله أيضاً لأتباعهم، فكل أتباع الأنبياء يحصل لهم مثل ما يحصل للأنبياء، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١]. فإن هؤلاء المجرمين يعتدون على الرسل وأتباعهم وعلى ما جاؤوا به بأمرين:

الأول: التشكيك.

الثاني: العدوان.

أما التشكيك: فقال الله تعالى في مقابلته: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لمن أراد أن يضله أعداء الأنبياء، وأما العدوان: فقال الله تعالى في مقابلته ﴿وَنَصِيرًا﴾ لمن أراد أن يردعه أعداء الأنبياء.

فالله تعالى يهدي الرسل وأتباعهم وينصرهم على أعدائهم ولو كانوا من أقوى الأعداء، فعلينا أن لا نيأس لكثرة الأعداء وقوة من يقاوم الحق، فإن الحق كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

الْحَــقُ مَنْصُــوْر ومُمْتَحَــنٌ فَلاَ تَعْجَب فَهَذِي سُنَّة الرَّحْمَن

فلا يجوز لنا أن نيأس بل علينا أن نطيل النفس، وأن ننتظر، وستكون العاقبة للمتقين، فالأمل دافع قوي للمضي في الدعوة والسعي في إنجاحها كما أن اليأس سبب للفشل والتأخير في الدعوة".

وجاء عنه في صـ (٤٦) في معرض شرح قول المؤلف: ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى الحجة وبيناناته فلا تخف ولا تحزن: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦].

الشرح: يريد المؤلف أن يشجع من أقبل على الله وعرف الحق بأن لا يخاف من حجج أهل الباطل؛ لأنها حجج واهية، وهي من كيد الشيطان وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦].

---

١ – صـ (٤٣–٤٤).

سأل رجل الإمام الشافعي رحمه الله فقال: يا أبا عبدالله، أيهما أفضل للرجل، أن يمكن فيشكر الله عز وجل، أو يبتلى بالشر فيصبر؟ فقال الشافعي: "لا يمكن حتى يبتلى؛ فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم ومحمدًا صلوات الله عليهم أجمعين فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة".[1]

قال تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "ثم قال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ﴾ قال قتادة والسدي وغيرهما: ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك، فكما قد كذبت فقد كذبوا، وكما صبروا على أذى قومهم لهم، فاصبر أنت على أذى قومك لك"[2].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمِيَ في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيعَ يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونُشِرَ بالمنشار زكريا، وذُبِحَ السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داوود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد، وتزهى أنت باللهو واللعب؟"[3].

فادعُ ربك يا عبد الله ولازم الدعاء، فإن الله تعالى قريب يسمع شكواك فارفع شكواك وهمومك لخالق ومولاك، فإنه تعالى هو السميع البصير مجيب الدعوات ناصر عباده المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

واصبر على استقامتك وقربك من الله تعالى ولايهمك ويزعجك هؤلاء المفتونين من أصحاب الشهوات والمنكرات، وأصحاب البدع والمحدثات، وتذكر أن الدنيا دار امتحان واختبار، وهؤلاء المعادون لك الظالمون الأفاكون هم المثبورون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧].
وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

قال السعدي رحمه الله تعالى: "أي: قد نعلم أن الذي يقول المكذبون فيك يحزنك ويسوؤك، ولم نأمرك بما أمرناك به من الصبر إلا لتحصل لك المنازل العالية والأحوال الغالية. فلا تظن أن قولهم صادر عن اشتباه في أمرك، وشك فيك ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ لأنهم يعرفون صدقك، ومدخلك ومخرجك، وجميع

١ – الفوائد لابن القيم صـ (٢٠٨).
٢ – تفسير القرآن العظيم (١٨٣/٧).
٣ – الفوائد صـ (٤٢).

أحوالك، حتى إنهم كانوا يسمونه –قبل البعثة– الأمين ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ أي: فإن تكذيبهم لآيات الله التي جعلها الله على يديك".

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "والمحنة التي يمتحن بها رسله وأتباعهم ظنه وحسبانه أنه بإعراضه عن الإيمان وتصديق رسله يتخلص من الفتنة والمحنة، فإن بين يديه من الفتنة والمحنة والعذاب أعظم وأشق مما فرعنه، فإن المكلفين بعد إرسال الرسل إليهم بين أمرين: إما أن يقول أحدهم آمنت، وإما أن لا يقول، بل يستمر على السيئات، فمن قال آمنا امتحنه الرب تعالى وابتلاه لتتحقق بالإيمان حجة إيمانه وثباته عليه وأنه ليس بإيمان عافية ورخاء فقط بل إيمان ثابت في حالتي النعماء والبلاء. ومن لم يؤمن فلا يحسب أنه يعجز ربه تعالى ويفوته بل هو في قبضته وناصيته بيده فله من البلاء أعظم مما ابتلى به من قال آمنت، فمن آمن به وبرسله فلا بد أن يبتلي من أعدائه وأعداء رسله بما يؤلمه ويشق عليه، ومن لم يؤمن به وبرسله فلا بد أن يعاقبه، فيحصل له من الألم والمشقة أضعاف ألم المؤمنين، فلا بد من حصول الألم لكل نفس مؤمنة أو كافرة لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا أشد ثم ينقطع ويعقبه أعظم اللذة والكافر يحصل له اللذة والسرور ابتداء ثم ينقطع ويعقبه أعظم الألم والمشقة"[1].

فإلى كل من يتألم ويحزن، من مرض أصابه وألم به وأسهره، إلى كل من يرى من يحبه متألماً حزيناً طريح فراشه، إلى كل من يجد في نفسه ضيقاً وحزناً على فراق محبوب وقريب، إلى كل من يجد غربة في زمانه من جفاء قريب وعداوة صديق دعاهم للحق والصراط المستقيم فعادوه بعد أن كانوا أحباب وأخلاء، لا تحزنوا ولا تيأسوا، فهذه سنة الله في خلقه، ولن تجدوا لسنة الله تبديلاً.

ستنسكب دموعكم الغالية، ستحزن نفوسكم الراقية، ستضيق صدوركم الطيبة.

فاصبروا فإن عاقبة الصبر حميدة وثمارها عظيمة.

أخي المريض: يا من حل بك الألم، يا من طال بقاؤك في السرير ودمعك انسكب، اصبر ولا تحزن، فإن العاقبة للمتقين الصابرين. يا من فقدت من تحب، اصبر فإن الله تعالى له الحكمة البالغة. يا من استقمت على دين الله تعالى، يا من تدعو لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ على فهم سلف الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم، أبشر فإن الله تعالى يبتلي عباده بأنواع المصائب؛ ليرفع درجاتهم ويكفر عن سيئاتهم.

وأذكركم بمن ملؤوا الدنيا أخلاقاً وحلماً ورحمةً وعفواً، أذكركم بصفوة خلق الله تعالى، أذكركم بالصالحين من عباده، فهم لكم أسوة حسنة ومنهاجاً تربوياً ونبراساً مضيئاً نسير عليه في دياجي الظلم وملمات الفتن.

وكتبت لكم ذلك تذكيراً لنفسي الضعيفة وعبرة وتسلية لي ولكم أحبتي، تسلية وذكرى لقلب يظن أنه في شقاء، ولعين اغرورقت من طول العناء، ولا يعلم أنه في سعادة وهناء، شعارها طاعة

---

١ – شفاء العليل صـ (٢٤٥).

الرحمن والفوز برضاه، صبراً واحتساباً، في زمن شح كثير من الناس فيه بالعطاء وانشغلوا بالدنيا عن الآخرة، فأصبح المؤمن الصادق غريباً في بيته، غريباً بين أهله، غريباً بين أصدقائه، غريباً بين زملاءه في العمل، غريباً بين أبناء عمومته. بأبي وأمي يا رسول الله حينما قلت هذه الوصية العظيمة تسلية لمن سار على الصراط المستقيم والحبل المتين.

﴿ فطوبى للغرباء ﴾

نسأل الله السميع البصير، الغني الكريم الحي القيوم، مجيب الدعوات، أن يغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، ونسأله سبحانه أن يشفي مرضى المسلمين ويكفر عنهم سيئاتهم وأن يعافي مبتلاهم، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من السعداء في الدنيا والآخرة وأن يكفر عنا سيئاتنا وأن يثقل موازيننا وأن يتوفنا وهو راض عنا وأن يختم بالصالحات أعمالنا وأن يحيينا على التوحيد والسنة وأن يميتنا على التوحيد والسنة، ونسأله سبحانه وتعالى القوي العزيز أن ينصر أهل السنة والجماعة في كل مكان، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك ﷺ، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وهيء لهم البطانة الصالحة الناصحة التي تدلهم على كل خير يا رب العالمين، إنك سميع قريب مجيب، أنت حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.